نظرات في الذريعة

الى تصانيف الشيعة

— ١ —

بقلم الدكتور مصطفى جواد

« تنبيه » قد كنا ذكرنا في البيان « ج ٢ ص ٦ » في التعدة السابعة ، ان المعروف « بنوسنبس » ثم رأينا في ترجمة « زرارة بن أعين » في لسان الميزان تعليقاً للسيد شريف الدين هذا نصه « ذكر في نضد الايضاح ان زرارة بضم الزاي ابن اعين ابن سنسن بضم السين قبل النون الساكنة وبعدها سين مضمومة والنون اخيرا ، والسينان مهملتان والرجل شيباني واسمه عبدربه وزرارة لقبه مات سنة خمسين ومأة وقال في فهرس الطوسي : كان سنسن راهباً في بلد الروم ».

وضبطه هذا الضبط المامقاني في « تنقيح المقال في احوال الرجال » . فالذي اورده العلامة اغا بزرك هو الاصل ، والاصل هو المراد لابنوسنبس ، ولا محل لاسترجاحنا ان يكون المراد «سنبس» بقولنا « المعروف بنو سنبس » ، هذا هو الذي اقتضانا التنبيه رعاية للحق والصواب .

١ ـ ورد في المجلد الثاني « ص ١٤ » من هذا الكتاب الجليل ما نصه « الاستبصار فيما اختلف من الاخبار لشيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المولود سنة ٣٨٥ ، قدم من خراسان الى العراق سنة ٤٠٨ وهاجر من بغداد الى الغري سنة ٤٤٨ وهو اول من جعل النجف مركزاً علمياً تأوي اليه الناس من كل فج عميق ، توفي فيها سنة ٤٦٠ »

قلت : وفي بعض ما قال العلامة المؤلف نظر فان ترك الطوسي لبغداد سنة ٤٤٨ ووفاته في النجف سنة ٤٦٠ يصعب معه التصديق بانه اول من جعل النجف مركزاً علمياً لان انتقاله لم يكن اعتياديا بل كان فيه مطلوباً معصباً ، اجل قال ابو الفرج ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٨ « وتقدم رئيس الرؤساء الى ابن النسوي بقتل ابي عبد الله بن الجلاب شيخ البزازين بباب الطاق لما كان يتظاهر به من الغلو في الرفض ، وصلب على باب دكانه وهرب ابو جعفر الطوسي ونهبت داره » ثم قال في حوادث السنة التالية لها « وفي صفر هذه السنة كبست دار ابي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام واخرج الى الكرخ واضيف اليه ثلاثة سناجق (١) بيض (٢) كان الزوار من اهل الكرخ قديما يحملونها معهم اذا قصدوا زيارة الكوفة ، فاحرق الجميع » (٣) وقال سبط ابن الجوزي « فاحرق الجميع في سوق الكرخ » وقال في الحادثة الاولى (وهرب ابو جعفر الطوسي فقيه الشيعة ومصنف التفسير فنهبت داره) هكذا وجدته في تاريخه « مرآة الزمان » .

وفي التحقيق انه قد احتوى التاريخ على علماء من الشيعة بثو العلم في الغري قبل العلامة الفقيه الطوسي ، ألا ترى ان النجاشي يقول في ترجمة الحسين بن احمد ابن المغيرة أبي عبد الله البوشنجي : كان عراقياً مضطرب المذهب وكان ثقة فيما يرويه ، له كتاب (عمل السلطان) أجازنا بروايته ابو عبد الله بن الحمزي الشيخ الصالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين ـ ع ـ سنة اربعمائة عنه (٤) ؟ ولو كان لي متسع من الوقت لبحثت عن سيرة ابي عبد الله الحمزي هذا الذي كان يبث العلم في النجف قبل الطوسي بثمان واربعين سنة .

٢ ـ وجاء في ص ٦١ اسم الكتاب المرسوم بـ (اسكندر نامه)

---

(١) جمع سنجق وهو بالتركية « الراية » وفي المنتظم المطبوع (ج ٧ ص ١٧٩) وردت الكلمة بصورة (مجانيق) فكأن داره كانت قلعة او خزانة سلاح للدولة ؟!

(٢) كانت السناجق بيضا اخذاً منه بشعار العلويين ولا سيما الفاطميين فقد عاصرهم .

(٣) المنتظم ج ٨ ص ١٧٣ ، ١٧٩

(٤) رجال النجاشي (ص ٥٥ ـ ١)

وقال في وصفه « احدى المثنويات الخمسة النظامية المعروفة به (بنج كنج) من نظم الشاعر الشهير بنظامي وهو نظام الدين ابو محمد احمد بن الياس .. التفريشي القمي الكنجوي المتوفى بعد سنة ٦٠٧ نظمه في سنة ٥٩٧ ... كان معاصر نصرة الدين السلطان الب ارسلان المتوفى سنة ٦٠٧ وابنه عز الدين مسعود طغرل تكين المتوفى سنة ٦١٠ من ملوك الشام بعد عصر طغرلبك ... والب ارسلان السلجوقيين بكثير - كما في حبيب السير » .

قلت : وهذا مما لاحصول له ولا عماد له في التاريخ ، فالشاعر أذربيجاني ومعاصره نصرة الدين وابنه المزعوم مسعود طغرلتكين من ملوك الشام ، فهل خلت الدنيا في زمانه من مشهورين حتى تعتمد المعاصرة بين اذربيجان والشام ؟ واذ كان الشاعر قد عرف المؤلف وذكر اسمه وبلده ووفاته لزم ان يكون الخطأ فيما بقي من الاسماء ، وهو إذن معاصر لنزل ارسلان بن ايلدكز امير الجبال واذربيجان المعروف في التاريخ ، ولابني أخيه ازبك ابن البهلوان صاحب الجبال همدان واصفهان وما حولها وابي بكر بن البهلوان الملقب نصرة الدين صاحب اذربيجان والظاهر انه مدحهم وهذا هو المراد بالاشارة الى المعاصرة ، وان لم اكن ذا علم بالادب الفارسي وتاريخه ، فما الذي أدخل أميراً من امراء الشام هو عز الدين ابو المظفر طغرلتكين ابن أزبن عبد الله الدمشقي في تاريخ الشاعر النظامي ؟ ثم ما معنى الموافقة بين وفاة النظامي ووفاة نصرة الدين وجعلها سنة ٦٠٧ ؟ فان كان هذا كله من كتاب (حبيب السير) فهو أوهام في أوهام .

٣ - وجاء في ص ٦٥ (اسماء البلدان لابي محمد الطيب بن عبدالله بن احمد محرمة اليمني ، رأيت نسخة خط سعيد بن محمد الفضيلي ...) ولم يذكر وفاته . قلت : إن المشهور هو أن اسم جده (بامخرمة) وهو مؤلف تاريخ عدن المشهور وقد توفي سنة ٩٤٧ قال محيي الدين عبدالقادر العيدروسي :

(وله (رح) تصانيف حسنة منها شرح صحيح مسلم ... واسماء رجال مسلم ، وتاريخ مطوّل مرتب على الطبقات ، والسنين وابتداء التاريخ المذكور من اول الهجرة وكتاب في مشتبه النسبة الى البلدان وهو مفيد في بابه جداً » (١) فالموصوف في الذريعة هو الكتاب الاخير .

٤ - وذكر في ص ٦٨ كتاب (اسماء الشعراء وتفسيرها) لأبي عمرو محمد بن عبد الواحد المطرز المعروف بازاهد غلام ثعلب المتوفى ببغداد سنة ٣٤٥ ، ونقل اقوال من قال بكونه امامياً ، والصحيح انه من ابعد الناس عن ذلك قال الخطيب البغدادي : (سمعت غير واحد يحكي عن ابي عمر الزاهد ان الاشراف والكتاب واهل الادب كانوا يحضرون عنده ليسمعوا منه كتب ثعلب وغيرها ، وكان له جزء قد جمع فيه الأحاديث التي تروى في فضائل معاوية فكان لايترك واحداً منهم يقرأ عليه شيئاً حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء ثم يقرأ عليه بعده ماقصد له (٢) » ، ولا اظن إمامياً يتعمد من الحكم على قلوب الناس مثل ذلك ، وان كان غاية في الاعتدال والتساهل .

وكنيته ابو عمر لا ابو عمرو ، وقد وردت كذلك في كتب التراجم لاسيما فهرست ابن النديم قال مؤلفه « وكان نهاية في النصب والميل على علي (ع) ... لقاه الله عمله » الى أن قال « وكان يقول انه شاعر مع عاميته فمن شعره :

إذا ما الرافض الشامي تمت معايبه تختم في يمينه
فأما إن أتاك بسمت وجه فان الرفض باد في جبينه

ويكفيه جهلا هذا الشعر (٣) » ، واغفل هذه الامور من سيرته كمال الدين ابن الانباري (٤) وقال ابن خلكان « وكان مغالياً في حب معاوية وعنده جزء من فضائله وكان اذا ورد عليه من يروم الاخذ عنه الزمه بقراءة ذلك الجزء وكانت فضائله جمة وعلومه غزيرة » (٥) وقال

(١) النور السافر عن اخبار القرن العاشر (٣٠ ، ٦٠ ، ٢٢٦)
(٢) الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٥٦-٧) ومعجم الادباء (ج ٧ ص ٢٦)
(٣) ص ١١٣ من طبعة مصر
(٤) نزهة الالباء ص ١٨٦ طبعة مصر
(٥) الوفيات (ج ٢ ص ٧٦)